الفلسفات التربوية – المحاضرة 7 –

تنوعت الفلسفات التربوية بتنوع الايديولوجيات السياسية والتاريخية التي عرفها المجتمع الانساني منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم.

وأهم تيارين فلسفيان كبيران هما: الميثالية والمادية، وهذا بوصفهما الاطار العام لمختلف التيارات والاتجاهات الفلسفية التربوية على محتلف المراحل التاريخية، فالمادية والميثالية في فلسفة التربية تشكلان البعد الفلسفي الأعمق والأشمل للفلسفات التربوية القديمة والمعاصرة.

وفي هذا السياق يمكن الاشارة إلى عدد من الفلسفات التربوية المتمايزة بأهدافها ومكوناتها وخطابها التربوي، والتي من أهمها الفلسفة الطبيعية في التربية وأبرز روادها جون جاك روسو وبستالوتزي، وكذا الفلسفة التربوية الوجودية التي سادت في أوروبا في الفترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية، والفلسفة التربوية البراغماتية في النصف الأول من القرن الماضي بالولايات المتحدة الامريكية ومن أبرز روادها وليام جيمس وجون ديوي، والتي انتشرت عبر أسقاع المعمورة، والفلسفة التربوية البنائية لمؤسسها جان بياجي في سويسرا وفيكوتسكي بروسيا، والفلسفة الواقعية في التربية في أوروبا في القرنين الثامنعشر والتاسع عشر، وكذا هي الحال مع الفلسفة التربوية الانسانية والوضعية. (علي أسعد وطفة، 2011، ص301)

فلسفة التربية في النزعة الميثالية (علي أسعد وطفة، 2011، ص301، 305)

يعرف لالاند الفلسفة الميثالية بأنها تيار فكري يحيل الوجود برمته من اشياء واقعية والظواهر الحادثة في العالم الطبيعي إلى أفكار الانسان وعقله، وبذلك يكون عالم الأفكار جوهر العالم ومصدره. فالعالم المادي هو صدى لذواتنا وأفكارنا حسب ما يذهب إليه أصحاب النزعة الميثالية الذاتية، فالحقيقة الوحيدة في هذا الكون هي الذات المفكرة العاقلة التي إليها ترتد أشياء العالم وظواهره، فلا وجود للطبيعة خارج الذات، ومن ثم فالقوة التي تعتمدها الطبيعة تتمثل في العقل الكوني أو الإلهي.

وتعد هذه الفلسفة أقدم نظام فلسفي في تاريخ الفلسفة والانسان، وترجع أصولها إلى الفكر الهندي والصيني في العصور القديمة، وارتفعت الميثالية على يدي أفلاطون الفيلسوف الاغريقي إلى مستوى المذهب الفلسفي الشامل، وتتجلى في نظريته عن المثل. فالروح المطلق هو جوهر الوجود عند افلاطون، وعالم المثل هو العالم الحقيقي، عالم المادة الذي نعيش فيه هو عالم متغير فاسد وهمي؛ فهو ظل لعالم المثل وطيف من أطيافه. ومن رموز الخط الميثالي في تاريخ الفلسفة نجد ارسطو فأفلاطون وبيركلي وديكارت وهيغل وكانط وروسو، ومن أبرز رواد الفلسفة الميثالية في المستوى التربوي نجد كومنيوس ورابليه وإيراسموس ومونتين وفروبل

العلم كما يظهر للميثالين، عقل وروح ووعي، وعليه ينبغي أن توجه التربية لصقل الروح والعقل فهما جوهر الانسان، أما المادة فهي عرض من أعراضه. فالروح حسب افلاطون كانت تطوف في عالم المثل ولعلّة ما أرادها الله هبطت إلى الجسد عالم المادة لوقت عابر زائل، ويرى بيركلي أن الروح خالدة أبدية، وأن تجسدها وقتي عابر بمقتضى اخضاعها لامتحان من طبيعة إلهية. بينما يرى كانط أن الانسان حر وخاضع للحتمية في آن واحد، فهو خاضع بقدر ما هو جسد وحر بقدر ما هو روح. فهو يؤكد على جوهرية الروح في الانسان. وهيغل يرى أن العالم تعبير متطور لعقل أو روح تجاهد لتجسيد ذاتها على نحو تام في صورة مادية.

يرى الميثاليون أن المعرفة أصيلة في النفس الانسانية، وأن على الالتربية أن تنتزعها، وفي ذلك يذكر افلاطون أن الروح كانت عالمة وعارفة بالحقائق لما كانت تطوف في عالم المثل، ولكن اغترابها في الجسد جعلها تنسى ذلك، ونفس القول يذهب إليه إيمانويل كانط: أن المعرفة في أفضل صورها أن تنتزع من الفرد وليس أن تسكب فيه. ومن ثم يعتقد معظم الميثاليين أن المعرفة مستقلة عن الخبرات الحسية ولا تستمد منها. وأن الخير والحق والجمال قيم مطلقة في بنية النظام الكوني وليست من صنع الانسان. وإذا كان جوهر الوجود هو الروح والعالم المادي انعكاس لها، فإن التربية ينبغي أن تركز على الجوهر ممثلا بالروح الانسانية.

وتشترك الفلسفات الميثالية في النظر إلى الوجود على أنه واقع لا مادي، حيث أن العالم المادي عالم زائف متغير فاسد، وأن ما نراه هو خيالات الاشياء لا الأشياء ذاتها؛ فإدراك

الحواس صورة ناقصة مشوهة للأشياء الحقيقية، بينما العالم الحقيقي هو عالم المثل، والذي لا تدركه إلا الصفوة أصحاب العقول المدربة والنافذة. وفي هذا يرى هيغل أن العالم الموضوعي ينبثق عن عقل كلي يحتوي الوجود كله، وهو سابق على الوجود المادي، وبالنسبة لبيركلي فالعالم ليس سوى معطى ذهني؛ فتفكيرنا بالشيء هو الشيء ذاته، وثمة روح تدرك العالم ونحن لا ندركها، وهي مواظبة على الادراك ودائمة اليقظة محيطة بالكون من كل جوانبه وحافظة له

وبناءا على معطيات الفلسفة الميثالية، ينبغي على التربية تحقيق ما يلي:

- تطوير العقل وإرهافه ليصبح قادرا على ادراك الكل (الوجود)، والتعلاف على موقع الانسان ضمن هذا الوجود كحقيقة مطلقة.
- الاخلاص المطلق للدولة والوطن والارض التي ينتمي إليها الفرد.
- تعلم النظام، لأن النظام هو الوسيلة لترويض العقل لقبول القانون الاخلاقي.
- الاخلاص للقانون الاخلاقي، ففعل الشر خروج على روح الكون الكلية.
- المعرفة الجديرة بالتعلم هي المعرفة النظرية، وليس الحسية المبنية على الملاحظة والاختبار.

الفلسفة التربوية في النزعة المادية (علي أسعد وطفة، 2011، ص306، 309)

يرى الماديين الماركسيين أن العالم وجود موضوعي، مستقل عن الانسان ووعيه، وهو عالم مادي غير قابل للزوال ولا نهائي، إذ أن وراء عالمنا عوالم لا حصر لها. وأن العمليات المتبادلة بين المادة والطاقة يجعل الكون غير محدود ومشكل من مادة واحدة؛ فالأرض والاجرام السماوية والنجوم إنما هي ائتلاف لذرات هذه المادة. وأن التغيرات الكيفية ليست إلا نتيجة لتغيرات كمية تراكمية، فزيادة الحرارة تحول الماء إلى بخار وانخفاضها يحوله إلى جليد، واعتدالها يجعله سائلا.

كما أن مادية الكون ليست ثابتة بل دائمة الحركة، فالتغيير والحركة أمران متلازمان للمادة، وأن مظاهر السكون والثبات هي حالات نسبية في سياق المجرى العام للتطور، فثباتنا داخل سيارة تسير هو حركة بالنسبة للمسافة المقطوعة بالسيارة. ويشارك الطبيعيون الماديين

في القول بوجود طبيعي مستقل عن الانسان، فالكون لا يكترث بالانسان ولم يصنع من أجله، فلانسان يقف قلقا أمام عالم لا يبالي به، لكن باستخدامه لعقله يكتشف القدرات الكامنة في هذا الكون وقوانينيه الموضوعية يمكنه من وضع نفسه بهذا الكون بصورة فاعلة. فلا نستطيع الاستفادة من طبيعة بخصائص معينة ما لم نفهم القوانين التي تسيرها ومنطقها الخاص.

ومن جانب أخر لا ترى البراغماتية أن للكون ماهيات مسبقة محددة، بل هو وجوج تطوري مفتوح على شتى الاحتمالات، فالتطور سمة أساسية للكون والحياة، ومن ثم ينبغي أن تكون وسائلنا وأدواتنا وأساليب تفكيرنا دينامية ومتغيرة، حتى تستطيع التكيف وفق قانون التكيف مع هذا الكون المتغير، وأن ما لا يمكن اختباره لا قيمة له، ولذلك فالبحث فيما لا يمكن اثباته بالتجربة كالنفس والروح والخلود... لا طائل من ورائه ولا فائدة، بل هو مضيعة للوقت. ومن ثم ترى النظرية الدياليكتية الماركسية أن التربية تهدف إلى ما يلي:

-التربية حق عام، ولا بد من إزالة العقبات الاجتماعية والإثنية التي تحول دون القبول في المعاهد الدراسية.

-ينبغي توحيد النظام التعليمي، ووضعه تحت إشراف الدولة.

-التربية للعمل المنتج والقضاء على ثنائية الفكر والعمل، بل دمجهما في سياق واحد.

-تسليح الانسان بالوعي الطبيعي والاجتماعي لفهم الظاهرات الاجتماعيةوالطبيعية، والتخلص من التفسيرات الغيبية التي تسبب الاغتراب الثقافيللانسان.

-تحقيق الصلة بين الدراسات الاكاديمية والحياة، وهدم الفجوة بين المدرسة والحياة.

-النظرة المتفائلة للانسان والثقة به، واعتبار أن الفروق في التحصيل والذكاء لا تعود للوراثة ولحتمية بيولوجية، وأي طفل يمكنه استيعاب المناهج الدراسية عندما تتوافر له ظروف مواتية.

-الاتجاه نحو تربية متوازنة توجه الاهتمام للشخصية نصفتها نظاما متكاملا من النواحي الجسمية والمعرفية والانفعالية والاجتماعية.

بموجب النظرية الطبيعية، فإن غايات التربية محفورة داخل التربية ذاتها، والعمل التربوي يساعد على تفتح الطبيعة في الانسان، فالطبيعة خيرة بذاتها وموجهة بغايات كما يفترض روسو، فبواسطة التربية الطبيعية يكتشف الانسان نفسه.

مكانة فلسفة التربية في العملية التربوية: (ماجد عرسان الكيلاني، 1987، ص 14، 18)

تحتل فلسفة التربية المركز الاول في العملية التربوية. ومن هذه الفلسفة تنبثق أهداف التربية ومناهجها ومؤسساتها وطرقها ووسائلها في التعليم والتقويم، لذلك تكون نسبة الصواب والفاعلية للأهداف والمناهج والتطبيقات التربوية بالقدر الذي يكون في فلسفة التربية ذاتها. وتكون هذه الفلسفة فاعلة كلما تعدت الوسائل والأساليب إلى الغايات والاهداف النهائية التي وجد الانسان من أجلها في ضوء علاقاته مع الخالق والكون والانسان خلال رحلته عبر الزمان والمكان في المنشأ والحياة والمصير.

ولابد لهذه الفلسفة أن تتصف بالمرونة والتطور في نظام دائري يبدأ بالفسفة التربوية نفسها ثم ينتقل نحو الأهداف التربوية، ثم مكونات العمل التربوي من المناهج والأساليب والوسائل التي تتفاعل مع شخصية المتعلم وتسهم في إعادة تشكيل سلوكه ثم تقويم أنماط السلوك الحاصلة تقويما عمليا يسهم باستمرار في تطوير هذه الفلسفة التربوية، فمن فلسفة التربية تتولد الأهداف العامة كتفصيلات أدق لهذه الفلسفة في ميادين الحياة العامة والمراد الاسهام في بنائها، ومن هذه الأهداف تتولد المعادلات العملية المطلوبة والمتمثلة في مظاهر السلوك والتطبيق العملي المطلوب تنميتها في شخصيات المتعلمين، ولتحقيق كل ما سبق يجري تنظيم العمل المدرسي الذي يتضمن المنهاج والأساليب والوسائل، ومن ثم عند تصميم المنهاج تتولد العلوم والخبرات على اعتبارها أحد الوسائل اللازمة لتحقيق الغايات الانسانية التي ترفعها عقيدة المجتمع ومثله الأعلى، وفي إطار الأساليب والوسائل تتحدد طرق التربية وأنشطتها وأدواتها، وتتحدد نماذج التوجيه والارشاد، ونماذج المربين والمهارات التي ينبغي أنيتقنوها، والمعارف التي ينبغي أن يتحصلوا عليها، والاتجاهات والقيم التي ينبغي أن يتحلوا بها، كما وتتحدد المؤسسات التربوية التي يجري فيها ذلك كله.